الشيخ الأمين المزروعي والحركة الإصلاحية الإسلامية في ساحل شرق أفريقيا

د / شرين مبارك بسيس فضل الله
مدرس بكلية الدراسات الإفريقية – جامعة القاهرة

مقدمة

كان الشيخ الأمين المزروعي واحدًا من أبرز رواد الحركة الإصلاحية الإسلامية فى ساحل شرق أفريقيا، التى يمكن أن نطلق عليها "حركة التنوير السواحيلي"، تلك الحركة التى اكتسبت زخمًا فى النصف الأول من القرن العشرين. كان أساس دعوة الشيخ الأمين التأكيد على الهوية الإسلامية، بكل ما تحمله من القيم والمبادئ الحضارية، والثقافة العالية، والتنظيم الشامل لكل مناحي الحياة. والعودة لجوهر الدين بشكل يتناسب مع طبيعة تحديات العصر، والواقع الذي فرضه الاستعمار على المنطقة.

لعب الشيخ الأمين دورًا تنويريًا كبيرًا لفتح أعين مسلمي مومباسا والساحل السواحيلي ومساعدتهم فى فهم وتطبيق مبادئ العقيدة الإسلامية السليمة، بما يؤدى إلى رؤية أفضل لمفهوم "العقيدة" و"الهوية" فى إطار وحدة الإسلام الجامعة، انطلاقًا من إدراكه أن الاستعمار لا يهدد الوجود السياسي والتفوق الاقتصادي للعرب والسواحيليين فقط، بل يهدد القيم والوحدة الدينية للمسلمين على الساحل الشرقي لأفريقيا.

بناءً عليه، يحاول البحث رصد دور الشيخ الأمين فى الحركة الإصلاحية الإسلامية فى مومباسا خاصة وساحل شرق أفريقيا في العموم، وتأثير أفكاره الإصلاحية فى المجتمع، فى سياق التحولات التى شهدتها تلك الفترة نتيجة ضغط الاستعمار، سياسيًا، واقتصاديًا، وثقافيًا، ومحاولة رصد مآلات هذه التحولات على مسلمي الساحل الشرقي لأفريقيا.

أولاً – الجذور الفكرية للشيخ الأمين المزروعى.

ارتبط الإسلام بشرق أفريقيا منذ ظهوره فى الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى [١]. ولم يكد القرن الثالث عشر الميلادي ينتصف حتى كانت المدن الإسلامية قد انتشرت على طول الساحل الشرقي لأفريقيا [٢]. اشتغلت هذه المدن بالتجارة، كما كانت مراكز لنشر الدعوة الإسلامية، وأماكن وثوب تتجمع فيها المؤثرات الإسلامية لتنتقل إلى ما وراءها. وبمرور الوقت زاد غنى هذه المدن، واتسعت رقعتها، وتحولت إلى سلطنات إسلامية كبرى[٣].

أدى الاختلاط والمصاهرة بين العرب والأفارقة على الساحل الشرقي لأفريقيا إلى نشأة أجيال مختلطة عرقيًا، هذا الاختلاط كان نواة ظهور ثقافة جديدة هى الثقافة السواحيلية [٤]. كان هيكل هذه الثقافة أفريقيًا، وجوهرها عربيًا، والهيكل والجوهر معًا شكلا أسس وقواعد ثابتة تمثلت فى الإسلام

(٥). ومن هنا تأسس إيمان الشيخ الأمين المزروعي بأنه نتاج تلاقى ثقافات ثلاث، هى: الإسلامية، العربية، والأفريقية.

ينتمى الشيخ الأمين لأسرة المزروعي ذات الأصول العربية العمانية (٦)، استقرت الأسرة في ساحل أفريقيا الشرقي، وحكمت كبرى مُدنه مومباسا (٧) لأكثر من قرن من الزمان قبل الاستعمار البريطاني (٨). لعب المزارعة دورًا ثوريًا فى مومباسا بصفة خاصة، ومنطقة الساحل الشرقي لأفريقيا بصفة عامة، منذ أن عَيَّنَ الإمام سيف بن سلطان الثاني، محمد بن عثمان المزروعي حاكمًا على مومباسا عام ١٧٣٧م، حتى دخول المدينة تحت نفوذ السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٦- ١٨٥٦) عام ١٨٣٧ م (٩).

أما عن نسب الشيخ الأمين المزروعي، فهو الأمين بن علي بن عبد الله بن نافع بن مزروع بن عبد الله بن علي المزروعي، ولد فى بلدة Kibokoni كيبو كونى فى مومباسا، فى الخامس عشر من جمادى الآخر ١٣٠٨هـ، الموافق السابع والعشرين من يناير ١٨٩١، وتوفى في الثامن من جماد الأول ١٣٦٦ هـ، الموافق الأول من أبريل ١٩٤٧م. توفي والده وهو ابن أربع أعوام فتكفل بتربيته وتعليمه الشيخ سليمان بن علي بن خميس المزروعي (١٠).

بعد وقوع مومباسا بيد البوسعيديين عام ١٨٣٧(١١)، هرب عبد الله بن نافع المزروعي جد الشيخ الأمين، وأبناؤه أحمد وعلي إلى مكة، وهناك تحولوا إلى المذهب الشافعي، ونبذوا المذهب الإباضي السائد بين العشائر العمانية (١٢). كان هذا التحول بلا شك جزءً من مقاومة أسرة المزارعة لأسرة البوسعيد، سياسيًا ودينيًا. وعلى ضوء هذه المقاومة يمكن أن يؤخذ نبذ المزروعي للإباضية على أنه رفض مقنع لحكم البوسعيديين السياسي، وكذلك سيطرتهم على الحياة الروحية للإباضيين فى شرق أفريقيا. فى عام ١٨٤٦ عاد علي بن عبد الله (١٢٤٠- ١٣٠٤هـ/ ١٨٢٥- ١٨٩٤م) والد الشيخ الأمين إلى مومباسا، وبمجرد عودته أصبح أحد أكثر العلماء شهرة فى مومباسا (١٣).

كان الشيخ علي بن عبد الله شخصية محورية فى تاريخ الإسلام فى مومباسا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، تتلمذ على يديه الكثير من طلاب العلم، ومنهم قريبه وتلميذه سليمان بن علي المزروعي، الذي تعهد "الأمين" ابن شيخه وأستاذه بالتربية والتوجيه، ومن خلاله انتقلت تعاليم الشيخ علي بن عبد الله لإبنه "الأمين"، وقد كان لتراث الشيخ علي، وإرثه الفكري، ونضاله الديني

والاجتماعي، تأثير كبير فى التكوين الفكري والنفسي لإبنه الأمين، وألقى بظلاله على منهجه الإصلاحى فيما بعد [١٤].

بدأ الشيخ الأمين دراسته للعلوم الدينية فى زنجبار [١٥] فى سن مبكرة. كانت زنجبار فى ذاك الوقت قصبة العلم التي هوت إليها أفئدة العلماء، فهاجروا إليها واستقروا فيها، فكانوا أن أسهموا في نهضتها العلمية والفكرية [١٦]، وقد تقلد هؤلاء العلماء مناصب رفيعة في الدولة، كما ساهموا في التأليف والتعليم، وتتلمذ على أيديهم الكثير من الطلاب الذين أصبحوا بعد ذلك من أشهر العلماء في شرق أفريقيا. وقد وجد العلماء في زنجبار وشرق أفريقيا الكثير من العناية والتشجيع من قبل سلاطين زنجبار [١٧].

نتيجة لذلك نشأ نوع جديد من القيادة الدينية، تميزت هذه القيادة عن سابقتها بمزتين: الأولي، تتعلق بالتأكيد على الالتزام بالشريعة الإسلامية، والثانية، هو طابعها العالمي، فمع زيادة الهجرة من الجزيرة العربية لساحل شرق أفريقيا، والفرص المتزايدة لسكان الساحل للسفر والدراسة في الخارج، التى حفزها انتعاش الحالة الاقتصادية، أعيد مرة أخرى تأسيس الاتصالات مع علماء المشرق العربي، وأصبحت النخبة الجديدة من علماء الساحل أكثر انفتاحًا على أدبيات الحركات الإسلامية فى العالم العربي، مما انعكس على أفكارهم فأصبحت نظرتهم أكثر عالمية، وآفاقهم أكثر شمولية من النظرة المحلية الضيقة، وفى هذه المناخ العلمي نشأ وترعرع الأمين المزروعي، ونهل من خبرات وعلم هؤلاء العلماء [١٨].

تلقى الأمين تعليمه فى زنجبار على يد الشيخ عبد الله باكثير (١٨٦٠– ١٩٢٩) [١٩]، والسيد أحمد بن السميط (١٨٦١– ١٩٢٥) [٢٠]، وهما من أشهر العلماء المسلمين فى زمانهم. كلاهما درس بمكة، وارتحلا كثيرًا فى العالم الإسلامى، وكانا على اتصال وثيق بعلماء وشخصيات بارزة من إسطنبول والقاهرة وحضرموت ومكة، وكان لهما تأثيرًا كبيرًا على طلبة العلم فى زنجبار [٢١]. تتلمذ الأمين المزروعي على يد هؤلاء العلماء، وتمرس فى العلوم الإسلامية والشريعة، وتعرف من خلالهم على أفكار الإصلاحيين المؤثرين فى العالم العربى، مثل جمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده، ورشيد رضا [٢٢].

ورغم أن الشيخ الأمين لم يكن أول عالم ومثقف من شرق أفريقيا يتأثر بأفكار رشيد رضا ومحمد عبده، إلا أنه كان أول من نشر أفكارهم خارج شبكات النخبة من العلماء، وترجمها من اللغة

العربية إلى اللغة السواحيلية لتكون مفهومة على نطاق أوسع للجمهور المحلي [٢٣]. عمل الشيخ الأمين كمدرس، وناشط اجتماعي، وصحافي، حيث قام بإصدار جريدة الإصلاح عام ١٩٣٢ في مومباسا، في وقت كانت فيه وسائل الإعلام الأفريقية المستقلة غير معروفة تقريبًا في شرق أفريقيا، مستلهمًا فكرتها من مجلة المنار القاهرية التي أسسها رشيد رضا ومحمد عبده. كانت هذه الجريدة لسان حال الحركة الإصلاحية التى قادها الشيخ الأمين، بالإضافة لكل هذه الأدوار شغل الشيخ الأمين أيضًا منصب القضاء، ولا شك أن الفترة التى قضاها فى سلك القضاء كان لها تأثير كبير على رؤيته لحقيقة معاناة المسلمين فى ظل الإدارة الاستعمارية، مما انعكس على خطابه الإصلاحى، وإنتاجه الفكري من كتب ومقالات [٢٤].

ثانيًا- الأوضاع السياسية في سلطنة زنجبار وتأثيرها على رؤية الشيخ الأمين للأزمة.

ساهمت الضغوط السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، التي تعرضت لها مومباسا وباقى مدن الساحل الشرقي لأفريقيا إبان الحكم الاستعماري البريطاني في تشكيل رؤية الشيخ الأمين المزروعي للأزمة، وصياغة خطة إصلاحية للتغلب عليها، انطلاقًا من يقينه أنه إن لم يتم التصدى للآثار المترتبة على وجود الاستعمار فسوف تتفاقم عواقبها، وتؤدى إلى تبعات كارثية، تهدد وجود المسلمين، والإسلام نفسه كعقيدة ونظام حياة فى شرق أفريقيا [٢٥].

لذلك؛ يمكن القول أن الاستعمار البريطاني كان هو نقطة البداية الزمنية التى حفزت ظهور الخطاب الإصلاحي الإسلامي فى شرق أفريقيا، مما حفز الوعي الجمعي للعلماء المسلمين، واستنفر جهودهم لدرء هذا الخطر المحدق بالأرض والعقيدة، وخاصة مع تسارع وتيرة استحواذ بريطانيا على الساحل، ففي عام ١٨٨٥، استأجرت شركة شرق أفريقيا البريطانية (IBEAC) شريطًا بطول عشرة أميال على الساحل من سلطان زنجبار [٢٦].

وفي عام ١٨٩٠ أعلنت بريطانيا الحماية على سلطنة زنجبار، وفى عام ١٨٩٥ تنازل حمد بن ثوينى سلطان زنجبار (١٨٩٣- ١٨٩٦) عن إدارة شريط الساحل لبريطانيا، فى مقابل تعهدها بالاحتفاظ بالقضاء الشرعي الإسلامي، والسماح بحرية ممارسة الشعائر الدينية. وحتى عام ١٩١٣ كان قناصل بريطانيا في زنجبار هم من يمثلون المصالح البريطانية تحت إشراف وزارة الخارجية، ولكن في الأول من يوليو عام 1913 تم نقل الإشراف على زنجبار من وزارة الخارجية إلى وزارة

المستعمرات، بعد أن أحكمت بريطانيا قبضتها على السلطنة واطمئنت على مركزها في مستعمراتها في شرق أفريقيا(٢٧).

وهو بلا شك وضع لم يكن ليتقبله سكان السلطنة العرب إلا على مضض، فالسلطنة التي كانت تمثل القوة السياسية والاقتصادية والثقافية لمنطقة ساحل شرق أفريقيا، والداخل الأفريقي أيضًا، أصبحت خاضعة لنظام حماية، فرضته دولة أجنبية لا يربطهم بها رباط الدين أو العرق أو اللغة(٢٨). زادت الأوضاع سوءً عندما أجبر البريطانيون عام ١٩١١ السلطان "علي بن حمود" على التنازل عن منصبه. كان السلطان متأثرًا بحركة الجامعة الإسلامية، التي نادى بها مفكرون إسلاميون، أمثال الإمام محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، وهى الحركة التي تبنتها الدولة العثمانية، أكد على ذلك الرسائل والاتصالات التي كانت بين مدير تحرير مجلة العروة الوثقى لسان حال حركة الجامعة الإسلامية والسلطان علي بن حمود (٢٩).

كانت فكرة الجامعة الإسلامية قد طرحت على السلطان أثناء زيارته إلى القسطنطينية في طريق عودته من أوروبا في نوفمبر عام ١٩٠٧، وذلك في لقاء مطول مع السلطان عبد الحميد الثانى (1876– 1909)، جرى خلال هذا اللقاء تكريم السلطان (علي بن حمود) بأن أنعم عليه السلطان العثماني بالوشاح العثماني الكبير، الأمر الذي أقلق بريطانيا من انتشار مثل هذه الأفكار في شرق أفريقيا، بما يهدد سلطتها ووجودها، لذلك سعت للتخلص من السلطان "على بن حمود"، من خلال تهميش سلطاته، بحيث أصبح منصب السلطان شرفيًا(٣٠)، كما عمدت إلى ابتزازه ودفعه للتنازل عن السلطة بزعم عدم قدرته على تسديد دين لمصلحة خزانة الدولة (١٩ ألف جنية)، والتشكيك في موقفة المالي، والطلب منه مباشرة الاستقالة من منصبه كسلطان، وقطع علاقته بزنجبار (٣١).

بعد تنازل "علي بن حمود" عن منصبه، اختارت بريطانيا السيد "خليفة بن حارب" (1911–1960) زوج أخت السلطان السابق سلطانًا على زنجبار (٣٢)، جاءت فترة حكم السلطان "خليفة" في ذروة التسلط البريطاني على زنجبار والساحل، حيث أصبحت السلطة الفعلية بيد المقيم البريطاني، والأخير تحت إشراف الحاكم العام في نيروبي ووزارة المستعمرات، إضافة للموظفين الإنجليز الذين سيطروا على المصالح الحكومية والشرطة بالسلطنة (٣٣).

بهذا الوضع تكون زنجبار، مع بعض الجزر الصغيرة، إضافة للشريط الساحلي المشتمل على مدينة مومباسا من الناحية الإدارية تابع للبر الأفريقي، ضمن المستعمرات البريطانية في شرق أفريقيا، وهو وضع معكوس لما كان عليه الحال قبل الحماية البريطانية(٣٤). علاوة على ذلك آثر السلطان خليفة بن حارب مسالمة الإنجليز، فى ظل ضآلة المساحة التى آلت إليها السلطنة، وقلة عدد سكانها، الذى شهد تنوعًا عرقيًا ملحوظًا، مما أسهم إلى حد كبير فى تأخر ظهور الوعى القومى، والنهوض لمقاومة سياسات الاستعمار البريطاني في السلطنة، ما عدا الحالات الفردية التى كان أغلبها قائم على الخطاب الدعوي والإصلاحي(٣٥).

تجنبت الإدارة الاستعمارية فى البداية المواجهة المفتوحة مع النخبة العربية، خاصة فيما يتعلق بالأمور الدينية، وكثيرًا ما أشار آرثر هارينج Arthur Harring الممثل البريطانى فى زنجبار إلى أن الشريعة لا تزال تطبق فى شرق أفريقيا من قبِلَ العلماء المحليين والقضاة. كان المسؤولون البريطانيون يرون أن العرب يشكلون أقلية صغيرة بين جماهير الأفارقة الأصليين، إلا أنهم سيطروا على الساحل سيطرة شاملة، وهو ما ينبغى حصر آثاره وتحجيمه. هذه النظرة الاستعمارية لتفوق العرب أيدها المفوض البريطانى للساحل، سى دبليو هوبلى، C.W. Hobly الذي وصف العرب بأنهم مستنيرين، وتقع مراكزهم الحضرية على طول الساحل كواحات للحضارة، ولديهم ذكاء أكبر من المواطنيين الأصليين، ويمتلكون القدرة على الإدارة (٣٦).

على الرغم من ذلك كان نهج رجال الإدارة الاستعمارية فى زنجبار ومومباسا غارقًا فى الاستشراق، بزعم إدراكهم للتنوع الديني والعرقي لسكان الساحل، لذلك سمحوا للقضاة الشافعية والإباضية فى مواصلة عملهم وتطبيق الشريعة الإسلامية على رعايا السلطان، إلا في الحالات التي تنازل فيها السلطان عن اختصاصه القضائي. وبعد التغييرات التى أدخلها الإنجليز على النظام القضائي كانت محكمة زنجبار وبمبا العليا، تضم قاضيين بريطانيين، وقاضي إباضي، هو الشيخ على بن محمد المنذري، وقاضي سني هو الشيخ أحمد بن السميط(٣٧).

بمرور الوقت قوضت قرارات الإدارة الاستعمارية مهام المحاكم الشرعية، وقلصت سلطتها، وحصرتها فى قضايا معينة، بعد أن كان حكمها عامًا فى جميع القضايا. وقد أدت محاولات البريطانيين لتقنين قانون للشريعة الإسلامية إلى وجود خليط انتقائى من الأحكام المأخوذة من مذاهب عدة، حيث تصرف البريطانيون كما لو أن الشريعة الإسلامية نوع آخر من العادات والتقاليد، كما القانون القبلي للأفارقة (٣٨).

كان هذا الأمر فى نظر الشـــيخ المزروعي بمثابة ناقوس يدق منذرًا بخطر عظيم يتهدد حكم الشريعة. خاصـة أن الشيخ كان قريبًا من دوائر الحكم والقضـاء، ففى عام ١٩٣٢ تم تعين الشيخ الأمين قاضـيًا، ثم تولي رئاسـة القضـاء عام ١٩٣٧، وبقي فى المنصـب حتى وفاته عام ١٩٤٧، لذلك كان مطلعًا عن قرب على ما تحاول الإدارة الاســتعمارية تحقيقه فيما يخص تقنين العمل بالشريعة الإسلامية، وتحجيم الاحتكام إليها، فى إطار خطة محاصرة المد الإسلامي فى الساحل والداخل الأفريقي، وترسـيخ الهوية الأفريقية، من خلال الوقيعة بين ذوي الأصـول العربية والأفارقة [٣٩].

كان من سمات السيطرة الاستعمارية دمج الشريعة في النظام القانوني الاستعماري، عن طريق التقنين، حيث حاول المسـتعمر الدمج بين القانون الاسـتعماري والعرفي والشـريعة الإسـلامية، بزعم تقديم قانون مؤسسـي متطور. وقد شكلت العلاقة بين القضـاة والسلطة الاستعمارية من جهة، وبين المتقاضـين والسلطة من جهة أخري، صـورة لمدى هيمنة التسلسـلات الهرمية القانونية الاستعمارية في هيكلة الأوضـاع الاجتماعية والاقتصـادية في زنجبار، وتحديد وفصـل المجتمعات العربية عن الأفريقية [٤٠].

تضـمن النظام القانوني في زنجبار مجموعتين من المحاكم: واحدة برئاسـة السـلطان والأخرى من قبل التاج البريطاني. كان التقاضـــي فى كل محكمة يتم على أســـاس الخلفية الدينية والعرقية والطبقية للمتقاضـين. تبعا لذلك، المسـيحيين والمسـلمون الهنود ذوو الأهمية الاقتصـادية كانوا تحت الولاية القضـــائية البريطانية، وفي عام ١٨٩٧، تم إنشـــاء محاكم بريطانية للنظر في القضـــايا التي يكون فيها رعايا السلطان مدعين. أما المحاكم الإسلامية فكانت تتعامل مع القضايا المتعلقة بالزواج والطلاق والميراث، وقد ألزمتها الإدارة البريطانية بمجموعة من الإجراءات تحت دعوى الإصـلاحات الاستعمارية لنظام القضاء [٤١].

كانت هذه هى الأوضاع السياسية، التى عاشها وعاصرها الشيخ الأمين المزروعي، وكان لها أبلغ الأثر فى دفعه للتحرك تجاه تبني خطة إصـلاحية لمواجهة سـياسـات الاسـتعمار، والدفاع عن الهوية الإسلامية للمسلمين فى الساحل فى مواجهة محاولات الاستعمار تكريس الفوارق العرقية بين

العرب والأفارقة، والإحاطة بالمد الإسلامي داخل القارة، من خلال تكثيف حملات التنصير، وفتح الأبواب أمام تدفق بعثات التنصير فى مومباسا وزنجبار.

وفقًا لتلك الظروف كان ترتيب الأولويات هو الأهم لتحقيق الهدف المنشود، وقد تمثلت الأولوية في ذلك الوقت في توحيد المسلمين، وجمع شتاتهم، وربطهم برباط العقيدة الجامع، الذى يسمو ويرتفع فوق الفوارق العرقية والطبقية والقبلية، وفوق محاولات بريطانيا لعزل العرب عن الأفارقة، كما كانت الثقافة السواحيلية رباط أخر يربط العرب والأفارقة وباقى مسلمي الساحل ببعضهم البعض، وباستخدام اللغة السواحيلية في منشوراته وصحيفته حاول الشيخ الأمين الوصول للأغلبية الساحقة من أهالي الساحل، كان هدفه الأساسي تنقية عقيدة المسلمين عربًا وأفارقة مما لحق بها من بدع وشركيات، وتنبيههم لمخاطر الاستعمار، من خلال مناقشته للقضايا الدينية والسياسية والاجتماعية.

ثالثًا- خطاب الشيخ الأمين الإصلاحى فى مواجهة سياسات بريطانيا الاستعمارية.

كانت مسألة التفريق بين العرب والأفارقة على أساس العرق واللون قضية شغلت حيزًا كبيرًا من اهتمام الشيخ الأمين. كان تقسيم السواحيليين [٤٢] فى ساحل شرق أفريقيا بحسب العرق إلى عرب وأفارقة هو ثمرة مباحثات نشطت خلال الفترة الاستعمارية، حيث ساد سؤال: من هم السواحيليون؟ وجد الباحثون أنهم سود، ويتحدثون لغة أفريقية من أسرة لغات البانتو، لكنهم مسلمون، وجهتهم الثقافية المحيط الهندى، وحكموا باستقطابهم لهوية "العرب" فى مقابل "الأفارقة"[٤٣]، نظرًا لتأثير الإسلام ولغته العربية التى كانت مصدرًا مهمًا من مصادر هوية السواحيليين [٤٤]. لذلك؛ كان المسؤلون البريطانيون يرون أن السواحيليين، شبه عرب، شبه أفارقة، لا مستقبل لهم على هذه الأرض، خاصة مع ميلهم لجانبهم العربي، وأنهم لعنة للإدارة الاستعمارية، يجب إزالتها، وكانوا يفضلون التعامل مع الأفارقة الأصليين، لأنهم الأسهل فى التعامل وفى التأثير عليهم [٤٥].

من هذا المنطلق سعت الإدارة الاستعمارية لترسيخ الهوية الأفريقية الطاردة لكل ما هو غير أفريقي على طول ساحل شرق أفريقيا[٤٦]، أما فى مومباسا موطن الشيخ الأمين فقد شجعوا تدفق الآلاف من سكان المناطق الريفية للهجرة إليها للعمل كعمال موسميين[٤٧]، خاصة من قبائل الكيبويو Kibuyu وكافيروندو Kavirondo الذين تحولوا إلى المسيحية، وتفوقوا مع الآسيويين فى العدد على السواحيليين الواونغوانا (Waungwana) أي الوطنيين الأحرار، سكان مومباسا، مما

أدى إلى فرض واقع ديموغرافى مهيمن جديد، وأثار بالتالي حفيظة سكان المدينة القدامي، كما أثار أيضًا مخاوف الشيخ الأمين(٤٨). كان هذا الأمر جزءً مما فعله الاستعمار البريطاني في نظر الشيخ الأمين لكسر التفوق الاقتصادي والاجتماعي للسواحيليين، وعكس التسلسل الهرمي للمجتمع (٤٩).

كان الشيخ الأمين يلحظ جيدًا مساعي الإدارة الاستعمارية فى الوقيعة بين أهالي الساحل، وخطط الفصل العنصرى بين ذوي الأصول العربية والأفارقة، لذلك؛ شدد فى دعوته على ضرورة الوحدة بين مسلمي الساحل، واستشهد بأن المسلمين عندما كانوا متحدين حكموا ربع العالم لأكثر من ثمانمائة عام، ولكن نتيجة الخلافات والتناحر، حادوا عن صراط الله المستقيم، فتسلطت عليهم الأمم الكافرة. وأعرب فى مقالاته عن قلقه من انغماس سكان مومباسا فى منافستهم العرقية، والأجانب يغزون مدينتهم من كل اتجاه، ودعاهم إلى السعي لتحقيق المصالحة فيما بينهم رغم أى اختلافات عرقية، لتفويت فرصة استغلال هذه الاختلافات على المستعمر (٥٠).

انتقد الشيخ الأمين في مقالاته المسلمين الأفارقة الذين يعتنقون الإسلام دون تعلم كافٍ لقواعد الدين وفهم الشريعة، ويتركون آذانهم للمستعمر، ويسلمون له إرادتهم، وخص بالذكر قبائل بعينها، مثل قبيلة الديجو Dido (٥١)، حيث تناول ما أسماه إخفاق الديجو فى تحمل مسؤولياتهم كمسلمين في مقال بعنوان ulingano wa Mwenyezi Mungu (طريقة الانسجام مع الله)، تناول الشيخ الأمين فى مقاله بداية انتشار الإسلام فى مجتمع شرق أفريقيا، وكيف وجَّهَ الأجداد الأتقياء الإنسان الأفريقى إلى عبادة الله وحده، وقارن بين نجاح الأجداد وفشل العلماء المعاصرين – رغم جهودهم– فى الحفاظ على من دخلوا الإسلام من استسلامهم للبدع والشركيات. وأكمل محذرًا:" إذا نحن لم ننجح في إتباع طريق شيوخنا الذين علموا هؤلاء الناس، فإن عمل شيوخنا والجهد الذي بذلوه سيضيع هباءً، وسيحبط الإنجليز مسيرة عمل الدعوة إلى الإسلام"(٥٢).

كان هذا المقال وما به من خطاب شديد اللهجة ناتج عن قيام الإدارة الاستعمارية بالفصل الإداري بين منطقة مومباسا والمناطق المحيطة بها، وطرد التجار السواحيليين والعرب من محمية الميجيكندا، وتطبيق قانون السكان الأصليين عليهم بالرغم من كونهم مسلمين، بحجة تمييز الفضاء الاجتماعي لمدن الساحل وجعله أكثر قابلية للقراءة من خلال التمييز بين المسلمين وغير المسلمين (٥٣).

يعد التقرير الذي قدمه في عام ١٩١٣ المفوض الإقليمي لمقاطعة (سيداي Seyyidie) الساحلية، سي دبليو هوبلي C. W. Hobley، تأكيدًا على سياسة احتواء الإدارة الاستعمارية للإسلام، حيث وضح "هوبلى" في التقرير كيف سعى البريطانيون للحفاظ على مظاهر احترام الإسلام في الظاهر مع العمل على تقليص تأثيره، كما شرح كيف حاول المسؤلون البريطانيون فصل القبائل الأفريقية عن النفوذ العربي (الإسلامي) وتشجيعهم على الحكم في محاكمهم وفقًا لقانونهم القبلي الخاص [٥٤].

كانت حدود تطبيق الشريعة الإسلامية فى فكر رجال الإدارة الاستعمارية هي المجتمعات العربية والسواحيلية المسلمة فقط [٥٥]. بالنسبة للبريطانيين لم يكن التفريق بين العربي، والسواحيلي، والأفريقي، قائم على أساس لون البشرة بل على أساس اللغة والثقافة، لذلك؛ سعوا إلى بناء جدار فصل عنصرى قائم على أساس العرق بين العرب والسواحيليين من ناحية والأفارقة الأصليين من ناحية أخري، بغض النظر إن كان الأفريقى يدين بالإسلام أم لا [٥٦]. كما تم ربط الهوية العرقية بالقوانين بغض النظر عن الدين، لدرجة أن مفوض المنطقة البريطانى حصل على إقرارات من بعض أفراد قبيلة (الديجو) المسلمين يقرون فيها بأنهم يفضلون أن يحكمهم القانون العرفي القبلي بدلًا من الشريعة الإسلامية[٥٧].

نتيجة لجهود البريطانيين فى الفصل بين الأفارقة والإسلام، ظهرت فى أروقة المحاكم العديد من القضايا لمسلمين لم يتم الاحتكام فيها للشريعة الإسلامية نتيجة تطبيق القوانين القبلية، ومن ثم أصبحت مثار أخذ ورد قانوني ومجتمعي. مثال ذلك، أنه فى عام ١٩٢٧ عرضت أمام المحاكم قضية ميراث لمسلم من أفراد قبيلة "واديجو" WaDigo الأفريقية، كان (المجلس الأصلى) (Ngambi) الخاص بالسكان الأصليين قد حكم لصالح النسب الأمومي بحسب تقاليد الواديجو، وأيد هذا القرار المحكمة الجزئية البريطانية، ولكن هذا الحكم ألغته المحكمة العليا فى كينيا، وكانت حيثيات الحكم أنه طالما أن السكان الأصليين كانوا مسلمين فإن الشريعة الإسلامية فى هذه الحالة هى التى ستطبق، وأيدت محكمة الاستئناف قرار المحكمة العليا[٥٨].

الشاهد من هذه الواقعة، أن انسلاخ المسلمين رويدًا رويدًا من حكم الشريعة أصبح أمرًا واضحًا، وهو ما كان الشيخ الأمين يحاول التحذير منه، خاصة مع ما كان يشهده من تراجع أهمية الشريعة وتلاشي هيبتها ومكانتها كنظام قانوني واجتماعي ينظم حياة المسلمين ومعاملاتهم، يتضح هذا جليًا فى سياق كتابات الشيخ الأمين فى أوائل الثلاثينيات، ففى مقال له فى جريدة الإصلاح

بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٣٢ بعنوان "الشريعة الإسلامية والقانون الاستعمارى وملة الشعوب الأفريقية" Kanuni za Kizungu, Sharîʾa ya Islamu na Milla ya Watu wa Africa هاجم الشيخ الأمين القانون الاستعماري البريطاني الذى افتأت على دور الشريعة(٥٩). وأشار إلى أن البريطانيين قيدوا اختصاص الشريعة في عدد محدود من القضايا المتعلقة بالزواج، والطلاق، وحضانة الأطفال(٦٠).

استمرت حملة الشيخ الأمين على البريطانيين، ففى مقال له بجريدة الإصلاح بتاريخ ١٢ سبتمبر ١٩٣٢ انتقدهم قائلًا:" إن الجهلاء لا يستطيعون أن يحكموا المؤمنين. الجهلاء هم الإنجليز الذين على الرغم من قوتهم، لم يفهموا الدور التاريخي للشريعة الإسلامية في بناء المجتمع المسلم. أما الأفارقة فقد قادهم جهلهم لاتباع الإنجليز فى تبنى القانون العرفي بدلًا من الشريعة". وقارن بين موقف الإدارة الاستعمارية المتعنت من الشريعة الإسلامية مقابل تشجيعها للأعراف القبلية الأفريقية التى سمحوا بتطبيقها فى معظم القضايا، باستثناء حالات القتل والتمرد ضد السلطة(٦١).

من ناحية أخرى، كان الشيخ الأمين حريصًا على توضيح قواعد الشريعة وتبسيطها للجمهور المسلم السواحيلي، باستخدام اللغة السواحيلية، خاصة فى القضايا التى غابت عنها الشريعة فى التطبيق لدى الكثير من المسلمين، مثل قضية الميراث، التى ألف فيها كتابًا باللغة السواحيلية أسماه "الإرث فى الإسلام" (٦٢).

حاول الشيخ الأمين منذ وقت مبكر تنبيه المسلمين للتمسك بالعقيدة، والتحذير من مغبة الجهل بالشرع وأحكامه، كما حمل على العلماء الذين يكتمون العلم ولا يعلمون الناس صحيح الدين، ففي عام ١٩٢٩ كتب الشيخ الأمين مقالًا عن حال المسلمين في مومباسا في جريدة أسبوعية حررها بنفسه اسمها "الشفاء"، كان يُوزع منها حوالى مائة نسخة كل يوم جمعة. تم إعادة نشر هذا المقال مرة أخرى عام ١٩٧٨، في الفصلية الإسلامية السواحيلية، "صوت الحق Sautiya Haki"، التي كان محررها الشيخ محمد قاسم مزروعي (ت. ١٩٨٢) تلميذ الشيخ الأمين، كان عنوان مقال الشيخ الأمين" محادثة تربوية: الحقيقة في نكتة، ونكتة في الحقيقة". "Mazungumzo y a ilmu: kweli katika mzaha na mzaha katika Kweli" (٦٣).

في هذا المقال كتب الشيخ الأمين سيناريو لحوار متخيل يدور بين خمسة من الشيوخ السواحيليين الجالسين أمام باب منزل أو مسجد في مومباسا، يلبسون العباءات البيضاء (كانزو)، والكوفيات البيضاء المطرزة، ويتبادلون حديثًا ما بين الجد والهزل، عن أحوال المسلمين في مومباسا، حيث يذكر كل منهم أمرًا يحله أو يحرمه مذهب من المذاهب الإسلامية، وبطبيعة الحال لا يعلم عنه المسلمين العاديين من أهالى مومباسا شيئًا (٦٤).

كما صورهم الشيخ الأمين في مقاله يسخرون من ذهاب المسلمين إلى (المجانجا Mganga) المعالج التقليدي (الساحر)، ويقولون أنهم لم يسمعوا أبدًا من شيوخهم أن الذهاب إليه حرام، ويذكر أحدهم أن العلماء المسلمين مثل ابن حجر والسبكي يقولون أن المعازف مثل (الماتوارى Matwari) و(الزومرى Zumari) وهى طبول صغيرة محمولة باليد، ممنوعة في الإسلام، ويتندرون أن شيوخهم (أحفاد النبي) يقرعون الطبول ويرقصون. وفى النهاية يتفقون أن هذا هو حال سكان مومباسا هذه الأيام، أنهم لا يتبعون شيئًا لأنه هو الشرع، أو الحق من عند الله، ولا لأن جمهور العلماء يؤيدونه. ولكنهم يتبعون شعبهم والعرف السائد بغض النظر عن موافقته لقواعد الإسلام. ويتساءلون لماذا لا يخبرنا العلماء بهذه الأمور المخالفة للشريعة الإسلامية، وفى نهاية المقال يقول الشيخ الأمين على لسان أبطاله المتخيلين فليسامحنا الله، لقد أسرفنا على أنفسنا (٦٥).

كانت هذه المحادثة الخيالية محادثة كاشفة، تعبر عن حقيقة الأوضاع في مومباسا، من خلالها انتقد الشيخ الأمين أفعال أهالى مومباسا غير الموافقة للشرع، وغياب المعرفة الإسلامية السليمة لديهم، في ظل وضع شديد الخطورة، فمن وجهة نظر الشيخ الأمين كان الاستعمار يتربص بالمسلمين ويحاول بطرق متعددة تغييب الشريعة الإسلامية عن حياتهم، خاصة الأفارقة منهم، وإضعاف تأثير الإسلام في ساحل شرق أفريقيا. كما وجه الشيخ الأمين أيضًا سهام نقده للعلماء الذين لا يأبهون بتصحيح عقيدة المسلمين ودفعهم للتمسك بهويتهم الإسلامية، رغم إنهم يتحملون مسؤولية نقل المعرفة الإسلامية الصحيحة إلى الآخرين (٦٦).

بناءً على ما سبق، كان خطاب الشيخ الأمين الإصلاحي، موجه لمسلمي الساحل بعمومهم وباختلاف أعراقهم، فى إطار فكرة الوحدة الإسلامية التى تجمعهم، للوقوف أمام التهديد الاستعماري الذى كان يريد تجريف وعى المسلمين بالساحل، وقطع اللُحمة بين الأفارقة وبين إخوانهم من المسلمين العرب والسواحيليين. وقد عبر الشيخ الأمين عن هذه الغاية فى كتابه "جماعة الإسلام"، قائلًا:" إن الطريق للوصول لوحدة المسلمين لن يكون إلا من خلال معرفة الإسلام بطريقة سليمة

وصحيحة، عندئذ ستتحقق وحدة المسلمين فى نهاية المطاف، بعيدًا عن أى فروقات عرقية أو لغوية أو غيرها، مما هو موجود بالفعل، أو ما يحاول المستعمر تكريسه من خلال أساليبه المختلفة لبث الفرقة"(٦٧).

رابعًا- التعليم وأهميته فى خطاب الشيخ الأمين الإصلاحي.

لم تقتصر تبعات الاستعمار على الآثار السياسية والاقتصادية فقط، بل امتدت لتشمل تهديدًا مباشرًا للثقافة الإسلامية، نتيجة سماح الإدارة الاستعمارية بتدفق البعثات التنصيرية على شرق أفريقيا، حيث كان هناك تقارب وثيق بين المبشرين المسيحيين والإداريين البريطانيين، ظهر آثار هذا التقارب فى نظام التعليم الاستعماري، الذى كان متأثـــرًا بالإرساليات المسيحية، حيث كان المبشرون هم من يقومون بالتدريس، والنتيجة أن أصبح تأثير المسيحية يفوق تأثير الإسلام خصوصًا فى المناطق الداخلية الريفية، بينما أصبحت الحدود المكانية للإسلام ثابتة لفترة طويلة (٦٨).

الأخطر مما سبق، اعتبار الكثير من المسلمين الغرب الأوروبي مثالًا يجب أن يحتذي به، وما كان من أفكار وقيم وتقاليد مخالفة للغرب، اعتبروها عيبًا في الحضارة الإسلامية، ونقصًا في الشريعة، والدليل على صواب المستعمر هو ما وصل إليه من تقدم مادي وعلمي، استطاع به التسلط والاستبداد ببلاد المسلمين. هدد هذا الأمر استقرار قيم المجتمع المسلم، وبدأ الشباب السواحيلي فى التفلت من الانضباط الاجتماعي القائم، نتيجة الانبهار بالنموذج الغربي، الذى تسرب إليهم من خلال المدارس، والمناهج التى كانت تكرس صورة المستعمر كنموذج إنساني متفوق (٦٩).

أدرك الشيخ الأمين أنه لا يواجه خطر الاستعمار المسيحي فقط، بل يواجه أيضًا ردات فعل المسلمين أنفسهم، فى مجتمع يزداد علمانية، وكان أشد ما يخشاه التأثير المتزايد للأفكار والعادات الغربية بين المسلمين، لاسيما فئة الشباب، إدراكًا منه أن الخسارة فى هذه الناحية أفدح وأعظم لأنها تتعلق بالإنسان لا بالمادة، لذلك؛ حاول من خلال تجديد أساليب وطرق الدعوة إقناع الشباب بملاءمة الإسلام للحياة الحديثة، وأنه صالح لكل مكان وزمان، وهو بمثابة نظام حياة، له قوانين محددة، تُسهل على المسلم حياته وتنظمها له، وليس مجرد دين للتعبد، ودعى الشباب للعودة للأخذ بأسباب العلم والنهوض لمواجهة المستعمر، وكان الشيخ الأمين يذكر طلابه دومًا بأن المسلمين

كانوا أسـيادًا للعلوم الحديثة، مثل الطب، والجبر، وعلم الفلك، والكيمياء، وأن الغرب لم يتقدم إلا بعد ما نهل من علوم المسلمين [٧٠].

عندما جاء المستعمرون إلى ساحل شرق أفريقيا وجدوا أنّ المسلمين وحدهم يتمتعون بالقدرة على القراءة والتدوين والإدارة، لهذا اعتمدوا عليهم فى البداية كمترجمين وموظفين[٧١]، وهو الأمر الذى دفعهم إلى اتباع سياسة تحدّ من هذا الأمر فيما بعد، ومن ذلك جعل اللغة الإنجليزية هى لغة الإدارة، والتركيز على تعليم وتأهيل الأفارقة من غير المسـلمين فى مدارس الإرسـاليات، وإعدادهم للاعتماد عليهم فى الإدارة[٧٢].

وجد المسـلمون أنفسـهم متخلفين عن هذه التطورات، فقد كانوا يخسـرون فى النفوذ أمام البريطانيين، وفى المنافسة على الوظائف أمام الهنود والوطنيين، وفى اللحاق بركب تحصيل التعليم الحديث، خاصة أن النظرة المتوجسة للتعليم الغربي فى الإرساليات التنصيرية، وعدم مواكبة التعليم الديني القائم وقتها لمتطلبات الحياة، قد أقعد أبناء المسـلمين عن التطور المعرفي والمهني، وهو ما أوجد واقعاً جديداً ومغايراً للواقع التاريخي الذي اسـتأثرت به الجماعة المسـلمة إلى قبيل دخول الاستعمار [٧٣] .

بالإضافة إلى ما سبق، ارتبط الوصول إلى مستوى عالٍ من التعليم ارتباطًا وثيقًا بالتسلسلات الهرمية الاجتماعية، حيث كانت الطبقات العليا من المهاجرين العرب أو النبلاء السـواحيليين هم – فى الأغلب– القادرين على طلب العلم فى الجزيرة العربية، وفى مراكز التعليم الديني المحلية فى زنجبار، ولامو[٧٤]، أما الغالبية العظمى من المسـلمين فلم يحصـلوا إلا على قدر من التعليم الديني باللغة العربية، وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، من أجل أداء الواجبات الدينية الأسـاسـية [٧٥]، كان الطلاب يتلقون هذه المعرفة من خلال الكتاتيب أو ما أطلق عليه "مدارس القرآن" (vyou)[٧٦].

تبعًا لذلك أصبح التعليم أحد الموضوعات الرئيسية التى أهتم بها الشيخ الأمين، حيث أعرب عن قلقه إزاء نقص التعليم بين المسـلمين العاديين [٧٧]، قائلًا أنه فى الوقت الذى كان ينبغى أن يكون فيه المسـلمين السـواحيليين أكثر علمًا ومعرفة كانوا غارقين فى الجهل بلغتهم وبدينهم، وسـط محاولات عقيمة لتقليد ثقافة المسـتعمر[٧٨]، وانتقد فى مقال له بتاريخ ١٧ اكتوبر ١٩٣٢ العرب الذين تخاذلوا عن القيام بدورهم التاريخى فى قيادة المجتمع المسـلم فى شـرق أفريقيا، ورضـوا بنمط

حياة بطئ وغير منتج، وكتب قائلًا:" إن على المجتمع أن يعيد إنتاج النموذج الحقيقى للمسلم المستنير" (٧٩).

ومثلما رأى الشيخ محمد عبده أن الحركات الصوفية هى السبب فى تأخر الأمة، كان الشيخ الأمين يري أنه لإعادة بناء الحضارة السواحيلية، يجب أن يفيق العرب والسواحليين أولًا من سباتهم العميق، وأن يساهموا فى نهضة المجتمع، لذلك؛ وجه نقده إلى العشائر والعائلات الشريفة لاعتمادها على أنسابها بدلاً من أفعالها لكسب الاحترام، متهمًا ملاك الأراضي الأثرياء بالعيش بشكل سلبي على عائدات المزارع بدلاً من السعي لبناء المجتمع من خلال مبادرات الأعمال، وأشار إلى أن العمل الجاد والمجهود البدني أمران أمر بهما النبي، وتجسدا في حياة الصحابة في الأيام الأولى للأمة الإسلامية(٨٠).

كتب الشيخ الأمين مقالات متعددة عن خطر تقديم الاستعمار للأفارقة، وأشار إلى أن الأفارقة من سكان الريف يقومون بأعمال السكك الحديدية والكهرباء والأعمال اللاسلكية والتلغراف أثناء التحاقهم بمدارس الإرساليات، بالإضافة إلى تعلمهم الحرف اليدوية. وتساءل فى مقال له بعنوان " الخطر الأسود" متى يستيقظ المسلمون؟ وحذر قائلًا:" أن الأفارقة ألقوا المكانس فهل سنكون نحن من يلتقطها؟ وهل يأتى الوقت الذى نكون فيه من الجاهلين، وإذا عادت العبودية مرة أخرى فسوف يبيعنا الكيكويو Kikuyu ويشترينا الكافير Kavir"(٨١) .

كان لخطة الشيخ الأمين الخاصة بمواجهة هذا التحدي سمتان أساسيتان. الأولى، تتعلق برؤيته عن الإسلام والمسلمين في مجتمع عالمي، والثانية، تتعلق بالبدء فى تنفيذ برنامج يمكن من خلاله للمسلمين اللحاق بالغرب المسيحي من حيث النجاحات الدنيوية من خلال التعليم. وعلى الفور بدأ الشيخ الأمين من خلال دروسه ومقالاته فى توضيح أن الإسلام لا يرفض العلم الحديث، إنما يحث على العلم وعلى العمل والإنتاج(٨٢) .

كان الشيخ الأمين يرى أنه من الضروري أن يصبح المسلمون ماهرون في العلوم والتكنولوجيا الغربية من أجل الإسهام في نهضة مجتمعهم. وقال أن الحضارة الإسلامية في مهدها قامت على العقل والعلم، وبما أن المسلمين كانوا في يوم من الأيام أساتذة في العلوم مثل الجبر، والكيمياء، والطب ، والمنطق ، والفلسفة ، فإن مسلمي شرق أفريقيا قادرين على إتقان هذه العلوم أيضًا، إذا توفرت لديهم الإمكانيات المادية وإرادة التعلم، وهم بفعلهم ذلك لن يقوموا إلا باستعادة ما اقترضه

الغرب من علوم المسلمين وأفكارهم. وكثيرًا ما ذكَّرَ الجمهور المسلم بأن الحضارة الإسلامية زخرت بالعديد من العلماء البارزين الذين كانوا أساس نهضة الغرب العلمية، بعد أن قاموا بترجمة كتبهم، واستفادوا من علمهم فى نهضتهم الحديثة(٨٣).

وفى سبيل تحفيز الشباب على طلب العلم كثيرًا ما أشار الشيخ الأمين إلى تقدم الشعوب الأخرى فى العلوم، واكتساب المعارف، وتساءل إذا تمكن اليابانيون والإنجليز وغيرهم من الشعوب من بناء المدارس والمستشفيات والمكتبات وتصنيع الأسلحة، فلماذا لا يتقن المسلمون السواحيليون هذه الأمور؟ ودعى إلى بناء الجامعات الإسلامية حيث تدرس العلوم الحديثة إلى جانب العلوم الدينية، وقال أن جهود إنشاء هذه المدارس هى جهود مقدسة، وهى أشبه بجهاد مقدس لتغيير حال المسلمين(٨٤).

تأكيدًا على كلامه شارك الشيخ الأمين فى تأسيس المدرسة العربية فى مومباسا، وافْتَتَحَ الكثير من المدارس الإسلامية على طول الساحل السواحيلي، وقام بعمل أمور غير تقليدية فى ذاك الوقت، مثل إدخال السبورة فى فصول المساجد للتدريس عليها، كما قام بتخصيص مكافآت للحضور المنتظم للفصل، تشجيعًا للطلاب على الحضور والاجتهاد فى الدراسة. وركز بشكل أكبر على دراسة العلوم المكتوبة، بدلًا من الاعتماد على التلقين والتعليم الشفوي الذي كان سائدًا من قبل. وعلى الرغم من استمرار نظام التعليم الإسلامى على نفس المنوال، إلا أنه يمكن أن نرصد حدوث تغيير ملموس فيما يتعلق بوصول الجمهور المسلم إلى المعلومات حول الإسلام، بالإضافة إلى تنويع مصادر المعرفة الإسلامية بسبب جهود الشيخ الأمين وباقى رواد الحركة الإصلاحية (٨٥).

خامسًا- اللغة السواحيلية ودورها فى خطاب الشيخ الأمين الإصلاحي.

كانت اللغة السواحيلية من أهم مظاهر الثقافة السواحيلية(٨٦)، وهى لغة أفريقية تركيبًا، لكنها اقتبست كثير من الكلمات والمصطلحات العربية(٨٧). كتبت السواحيلية بالحرف العربى أولًا، ولكن بعد وقوع شرق أفريقيا تحت الاستعمار الأوروبي، استبدل الحرف العربى بالحرف اللاتينى (٨٨). كان على قائمة أعمال الشيخ الأمين استخدام اللغة السواحيلية لضمان سرعة وسهولة نشر أفكاره بين مسلمي الساحل، ويمكن وصف مبادرته تلك بأنها حركة "تنوير" بذاتها، فقد كانت بمثابة خطوة كبيرة إلى الإمام للوصول للجمهور المسلم والتفاعل معهم بلغتهم، ساهمت هذه الخطوة فى شرح العقيدة

الصحيحة لأهالى الساحل بلغتهم، مما يعكس اهتمام الشيخ الأمين الشديد بنشر مبادئ الشريعة للجمهور السواحيلي الذى لا يستطيع الوصول للمصادر العربية، ولا يفهم اللغة العربية(٨٩).

استفاد الشيخ أيضًا الأمين من استخدام الطباعة فى سهولة نشر أفكاره بين الناس من خلال الصحافة والكتب المطبوعة(٩٠)، وكان مقتنعًا أنه لا يوجد وسيلة كالصحافة لبث الأفكار فى أذهان الجمهور وتثقيفهم، وإيقاظ قلوبهم لاستقبال أوامر الله ونواهيه، وتجعلهم يقفون ويتقدمون. فى عام ١٩٣٠ بدأ الشيخ الأمين فى كتابة منشورات دينية، تخص بعض القضايا الاجتماعية، وتم توزيعها على الجمهور المسلم مجانًا، كتبت هذه المنشورات الأسبوعية فى البداية بالخط العربى، وأطلق عليها اسم "الصحيفة"، وكانت تتكون من نسخة مزدوجة الوجه من صفحة واحدة، وقد اعتبرها الشيخ وسيلة لتقديم نقده الإصلاحى لبعض الممارسات الثقافية المتأصلة فى المجتمع، والتى اعتبرها بدع محرمة، وأفعال غير مسموح بها فى الإسلام(٩١).

بعد ستة عشر شهرًا، فى ٢٩ فبراير ١٩٣٢ أخرج الشيخ الأمين العدد الأول من جريدة " الإصلاح"، التى تميزت بكونها ثنائية اللغة، حيث تم استخدام اللغة العربية والسواحيلية المكتوبة بالحرف اللاتينى فى تحريرها، ومن هذه الجريدة نشر الشيخ مقالات منتظمة تهدف لنشر أفكاره فى العديد من القضايا، مثل تعليم النساء، مع الحفاظ على القيم والتقاليد، والدعوة لبناء مساجد جديدة، وتشكيل منظمات رعاية إسلامية، وتعيين قضاة جدد للمحاكم الشرعية(٩٢).

سعى الشيخ الأمين من خلال جريدة الإصلاح إلى رسم صورة مجتمع مسلم، تسوده المساواة بين المسلمين، وتجمعهم وحدة العقيدة، وتحكمهم الشريعة، لذلك؛ قدمت الجريدة لقرائها قسمًا خاصًا بأخبار المسلمين فى العالم، وبذلك أصبح المسلم الذى يعيش بالساحل على اتصال بقضايا المسلمين من شتى أنحاء العالم. وقد تفاعل الجمهور مع الصحيفة لدرجة أنه كان هناك رسائل من القراء تصل للمحرر تناقش الأخبار، وتنتقد بعض المقالات(٩٣). استمرت الجريدة فى الصدور لمدة عام، وفى ذلك الوقت كان على الشيخ الأمين أن يتولى منصب القضاء فى مومباسا مما أثر على استمرار صدور الجريدة(٩٤).

أهتم المزروعى بقضايا المرأة ودورها فى المجتمع انطلاقًا من إيمانه بدور الأسرة المسلمة فى الحفاظ على المجتمع، وألف كتابًا عن الزواج بعنوان: Na Talaka Katika Sharia ya Ki – Isiamu، أى " الزواج والطلاق فى الشريعة الإسلامية"، كتبه باللغتين العربية والسواحيلية، كان هذا

الكتاب فى إطار محاولات الشيخ الأمين بوصفه قاضيًا صياغة قانون للزواج والطلاق وفق الشريعة الإسلامية(٩٥).

استعرض الشيخ الأمين فى مقدمة كتابه أحكام الزواج والطلاق عند اليهود والنصارى والتقاليد الغربية للزواج، هذه المقدمة تبدو مفهومة فى سياق قلق الشيخ من وجود عدد كبير من الأوروبيين والمسيحيين واليهود فى ساحل شرق أفريقيا، وتأثيرهم على المجتمع فى مومباسا والساحل كله. تضمن الكتاب أيضًا أقسامًا تتناول أهمية تسجيل وتصديق الزواج والطلاق للمسلمين، للحفاظ على حقوق المرأة وحفظ كيان الأسرة، وللمساعدة على سرعة حل الخلافات، مؤكدًا أن هذه الأمور لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية(٩٦).

قام الشيخ الأمين بترجمة أجزاء من القرآن الكريم إلى اللغة السواحيلية (٩٧)، ليسهل على أهالى الساحل قراءة كتابهم المقدس بلغتهم، حيث قام بترجمة وتفسير سورة الفاتحة وسورة البقرة. وقام أيضًا بنشر كتاب بعنوان مجمع البحرين، وهو شرح للآية ستين من سورة الكهف، كما قام أيضًا بترجمة بعض الأحاديث النبوية إلى السواحيلية، ونشرها فى كتاب بعنوان :" الأحاديث المختارة" (٩٨).

كان هدف حركة الترجمة للسواحيلية ونشر العديد من الكتيبات والمنشورات الدينية هو تنويع مصادر المعرفة، وأساليب التعليم الإسلامي، من خلال توعية المسلمين بتاريخ الإسلامه وأعلامه، كإجراء مضاد لما يتم بثه فى عقول الشباب جراء السياسة التعليمية الاستعمارية، فقد كان المسلمون يعرفون تاريخ نابليون، وكولومبوس، ولا يعلمون شيئًا عن تاريخ رجال الإسلام العظماء، أمثال، أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى(٩٩). وكون هذه المواد التعليمية مكتوبة بلغة أهل البلاد، فهى تعنى أنه لأول مرة يمكن للمسلم غير الناطق بالعربية أن يقرأ عن الإسلام بنفسه بدون وصاية من أحد، وبدون وساطة من شيخ أو غيره، وقد أدى هذا إلى نقلة نوعية فى حياة المسلمين الدينية على ساحل شرق أفريقيا (١٠٠).

وصف الشيخ عبدالله بن صالح الفارسي (١٩١٢- ١٩٨٢) – أحد تلاميذ الشيخ الأمين– استخدام الشيخ للغة السواحيلية فى كتاباته بأنها كانت ذات أثر ثوري على الخطاب الإسلامى فى شرق أفريقيا ككل، حيث كانت السواحيلية هى اللغة المشتركة لأهالى شرق أفريقيا، وذكر أن علماء الدين استخدموا فيما بعد السواحيلية فى كتابة الكتب الدينية، ولكن الشيخ الأمين هو الذى بدأ هذا

الشئ الطيب، ومن ثم سار على نهجه من جاء بعده، وسيظل ثواب هذا العمل الصالح الذى فتح للخطاب الدعوى فى شرق أفريقيا آفاقًا واسعة فى ميزان الشيخ الأمين(١٠١).

وعلى الرغم من نشاط حركة الترجمة من العربية إلى السواحيلية، إلا إنَّ تعليم العربية ظل منتشرًا في المدن الساحلية بوصفها لسان العقيدة الإسلامية ومستودع فكرها (١٠٢). كان الشيخ الأمين حريصًا على الحفاظ على اللغة العربية ضد الهجمة التى تتعرض لها، بوصفها وسيلة للحافظ على الهوية الإسلامية لمسلمي الساحل من التآكل، فكان دائم التشجيع على تعلم العربية، وقدم طرقًا جديدة في تدريس اللغة العربية، ركزت على فهم التراكيب والمعاني بدلاً من الحفظ البسيط للغة لاستخدمها فى الأعمال الدينية(١٠٣). وكثيرًا ما شدد على أهمية تعلم اللغة العربية لمحو الأمية الدينية(١٠٤).

خاتمة

كان خطاب الشيخ الأمين الإصلاحى المرتكز على العودة للشريعة الإسلامية خطة إصلاحية شاملة لكل المؤسسات، ولكافة مناحى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. كان هذه الخطاب يعكس رغبته فى العودة لنمط الحياة والنهج الإسلامى القويم الذي أفرز وجود العرب كقوة روحية، وسياسية، واقتصادية، وثقافية، ساهمت فى نشر الإسلام فى المنطقة كما ساهمت فى رفاهية المجتمع وزيادة ثروته.

كان تفكير الشيخ الأمين موجهًا بشكل حاد نحو رؤية الفضاء الحضري لمومباسا كفضاء مسلم متدين منظم يحكمه الشريعة، خاصة فى ظل تحدى وقوع المنطقة تحت السيطرة الإمبريالية الغربية، وسعيهم لوقف الاندفاع العربي والإسلامي على الساحل وداخل القارة، ومحاولتهم محو معالم العقيدة والثقافة الإسلامية، مما استنفر جهود الشيخ الأمين استجابة لهذا التحدى، بخطاب دينى مباشر، يوضح مكامن الخطر، ويحذر منه، ويوضح مبادئ الإسلام، ويؤكد على دور الشريعة فى تنظيم حياة المسلمين، فى ضوء ما شرّعه الله للناس من الأوامر والنواهي والحلال والحرام.

كان أساس دعوة الشيخ الأمين المزروعي هو السعى لتنقية العقيدة مما لحق بها من فهم مغلوط، أدى لممارسات بدعية لا تتفق مع صحيح الدين، فى نفس السياق حاول كسر الجمود الذى لحق بحياة المسلمين فى مومباسا، فأسس صحيفة الإصلاح عام ١٩٣٢، مستوحيًا

أفكاره من رواد الإصلاح فى المشرق العربى، أمثال رشيد رضا ومحمد عبده، ولكن بخطاب محلي، يناسب المجتمع السواحيلي، حيث وجهت "الإصلاح" خطابها بالأساس للمسلمين الناطقين باللغة السواحيلية.

لهذا أطلق البعض على الشيخ الأمين، أبى الحداثة فى شرق أفريقيا، بوصفه أول من تبنى تجديد الخطاب الدينى فى ساحل شرق أفريقيا فى العصر الحديث. ويجب أن نؤكد هنا أنه لم يروج للإسلام الحداثي كما روج بعض الباحثين الغربيين، ولكن دعوته كانت تطبيق الشريعة الإسلامية، ورفض العادات والتقاليد التى لا تتفق مع الإسلام، فكان العودة للفهم الصحيح للدين هى دعواه، والتأكيد على مركزية دور الشريعة في حياة المسلم هى البوصلة التى وجهت حركته الإصلاحية فى ضوء إعادة تصور للهوية السواحيلية الإسلامية، استجابة للتحديات الداخلية والخارجية التى واجهها المسلمون إبان تلك الفترة.

وختامًا، لعب الشيخ الأمين دور الجسر بين عددًا من المعاني المختلفة، فقد كان مسلمًا يجمع بين الأصولية والحداثة، وجسرًا ربط بين العروبة والأفريقية، من خلال السواحيلية، كان يتمتع بإحساس عالٍ بالهوية العربية والانتماء السواحيلي، ويربطهم معًا برباط الإسلام الوثيق. يصفه تلميذه الشيخ الفارسى بأنه:" الشخص الذى فتح أعيننا، وأغلق أفواهنا لنتعلم ونعى صحيح الدين". وهو قول يلخص رسالة وحياة الشيخ الأمين كرائد من رواد الحركة الإصلاحية الإسلامية فى ساحل شرق أفريقيا.

(١) Mazrui, Ali.A., Islamic Doctrine and the Politics of Induced Fertility Change: An African Perspective, Population and Development Review, Vol.20, 1994, p. 131.

(٢) انتشر الإسلام فى ساحل شرق أفريقيا بفضل عاملين، أولهما: حركة الهجرة العربية إلى الساحل، التى ترتب عليها ظهور عدد من المدن العربية على طول الساحل الشرقي لأفريقيا. ثانيهما، ازدهار حركة التجارة بين الساحل الشرقي وجنوب شبه الجزيرة العربية. توماس. و. أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، بحث فى تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١ ص، ٣٧٩. Miran, Jonathan, A Historical Overview of Islam in Eritrea, Die Welt des Islams, New Series, Vol. 45, Issue 2 (2005),p.180

(٣) كانت الطبقة الحاكمة فى هذه السلطنات تنتمي لأسرات عربية الأصل، ولكن الرعية كانوا مسلمين من أهل البلاد الأصليين. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٣٣٧.

(٤) الثقافة السواحيلية فى مجملها خبرة ثقافية مشتركة، قوامها مزيج بشري عربي وفارسي انصهر فى بوتقة واحدة مع المواطنيين الأصليين من البانتو فى شرق أفريقيا. لذلك؛ فإن أحد تعريفات السواحيلية تقول: أن على الشخص استيفاء ثلاثة أمور كى ينتمي إلى هذه الثقافة، أولًا، أن ينحدر من أصلى أفريقي، ثانيًا، يتحدث اللغة السواحيلية، وأخيرًا، أن يكون من سكان ساحل شرق أفريقيا. وفى تعريف آخر، السواحيليون: هم مجموعة من البانتو الذين خالطهم قدر كبير من الدم العربي. تطورت الثقافة السواحيلية ما بين القرنين الثالث عشر إلى السادس عشر الميلاديين، وأصبحت معظم المدن السواحيلية، مثل: مومباسا، وماليندى، وزنجبار، ولامو مراكز تجارية كبيرة. خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين استولى البرتغاليون على العديد من المدن السواحيلية، وخرَّبوا التجارة السواحيلية. ومع بداية القرن الثامن عشر الميلادي خلف العرب العُمَانيون البرتغاليين حكامًا للساحل، حتى مجئ الاستعمار البريطانى فى القرن التاسع عشر. جمال زكريا قاسم: الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الأوروبي فى القرن الخامس عشر، فى جمال زكريا قاسم"محرر": العلاقات العربية الأفريقية، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٢. James de Vere Allen, Swahili Origins, Swahili Culture, the Shungwaya Phenomenon, Ohio University Press, 2005, p.4.

(٥) تقع مومباسا شمال الساحل الشرقي لأفريقيا، وهى من الموانئ المشهورة على ساحل بنادر الممتد من مقديشيو حتى مومباسا، تطل على المحيط الهندي، وقد اشتهرت بكونها مركزًا تجاريًا لتجارة العاج، كما كانت أسواقها تعج بمختلف البضائع. وقد تصارعت عليها القوى الغربية منذ نهاية القرن الخامس عشر، وهى من المدن التي ارتادها العرب والمسلمين منذ القدم، حيث ارتادها العمانيون منذ القرن العاشر الميلادي، وكان لهم دورًا كبيرًا في تحريرها من الاستعمار البرتغالي إبان عهد دولة اليعاربة. عبد الله بن

سليمان الغيثي: ولاية ممباسا في عهد دولة اليعاربة العمانية ١٦٩٦- ١٧٤٩م دراسة حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢٠١٠، ص ١١.

(٦) ينقسم الباحثين حول أصل المزارعة إلي قسمين، القسم الأول يري أن المزارعة بطن من قبيلة بني جابر، وأن أصولهم موجودة في وادي جابر ومنطقة هضاب فى شرق عمان، وعاش بعضهم في رستاق (Rastag) وسمايل(Samayil). أما القسم الثاني فيري أنهم بطن من قبيلة بني ياس الذين عاشوا في منطقة الدفرة. وتعود أصول قبيلة بنى ياس إلى منطقة نجد بالحجاز، وهي قبيلة قوية، وزادت قوتها وعدد أفرادها نتيجة تحالفها مع العديد من القبائل. ومن المرجح أن المزارعة الذين حكموا مومباسا هم القسم الثانى الذين ينتمون لقبيلة بنى ياس. Miles, Colonel S. B. Countries and Tribes of the Persian Gulf, Voll.2, Harrison and Sons, London, 1919. P.438.

جمال زكريا قاسم: استقرار العرب فى شرق أفريقيا، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٤٧، ٤٨.

(٧) مصطفى طه سلامة: المزارعة فى مومباسا ١٦٩٨- ١٨٨٨، رسالة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢.

(٨) Berg F. J., the Swahili Community of Mombasa, 1500-1900, Journal of African History, Vol. 9, No. 1 ,1968, p. 56.

(٩) مصطفى طه سلامة: مرجع سبق ذكره، ص ٢.

(١٠) ناصر بن عبد الله الريامى: زنجبار شخصيات وأحداث (١٨٢٨- ١٩٧٢)، الطبعة الثالثة، بيت الغشام للصحافة والنشر، مسقط، ٢٠١٦، ص ٤١٦.

(١١) سعى المزارعة إلى الاستقلال بمومباسا بعد قيام دولة البوسعيد، ولم يعترفوا بتبعيتهم للبوسعيديين، ولكن فى عام ١٨٣٧ استطاع السيد سعيد بن سلطان السيطرة على المدينة. سليمان بن سعيد بن حبيب الكيومى: الحركة العلمية فى زنجبار وساحل شرق أفريقيا خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى، رسالة دكتوراه، جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢٠١٦، ص ٣٠.

(١٢) درس الأب والأبناء لمدة تسع سنوات على أيدي شيوخ الشافعية فى مكة، أمثال الشيخ عثمان بن حسن الدمياطى، والشيخ علي بن محمد السروسي المصري. نفس المرجع، ص ٢٠٤.

(١٣) شرع الشيخ علي فى مناظرة علماء الإباضية علنًا، مثل الشيخ محمد بن علي المنذري، مفتي السلطان ماجد بن سعيد (١٨٧٠- ١٨٥٦)، كما قام بكتابة رسائل للدفاع عن المذهب الشافعي ضد الإباضية. وكان له دور فعال فى تحويل العديد من المزارعة إلى المذهب الشافعي، إلى جانب أفراد من العشائر العمانية الأخرى، مثل البرواني والمنذري. ولكن على العكس من تسامح السلطان "ماجد" مع نشاطات الشيخ "علي" فإن السلطان برغش بن سعيد (١٨٨٨- ١٨٧٠) رأى فى دعوته ونشاطه تهديدًا لسلطته فزج به فى السجن، الذي بقى فيه حتى وفاة السلطان عام ١٨٨٨

Randall L., Sh.al – Amin B. Ali Mazrui and Islamic Modernism in Pouwels. . East Africa, 1875-1947', in International Journal of Middle East Studies, Vol 13, No.3, 1981, p.335.

(١٤) Ibid.

(١٥) تعد زنجبار من أبرز جزر شرق أفريقيا، ذات موقع استراتيجي وتجاري مميز، كانت مقصدًا للتجار العرب القادمين من شبه الجزيرة العربية، والقادمين من الهند، وذلك منذ القرن الأول قبل الميلاد، كما وفدت إليها القبائل العربية من عمان واليمن وحضرموت. وقد اشتهرت زنجبار وذاع صيتها إبان عهد دولة السيد "سعيد بن سلطان" (١٢٢١هـ / ١٨٠٦م – ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م)، الذي اتخذها عاصمة لدولته، وأصبحت مركزًا اقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا بارزًا في ساحل شرق أفريقيا والمحيط الهندي. الأمين بن علي المزروعي: تاريخ ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية، تحقيق: إبراهيم الزين صغيرون، لندن، ١٩٩٥، ص ١٩٨.

(١٦) تمثلت القاعدة الأساسية للتعليم الإسلامي التقليدي في زنجبار والمراكز الإسلامية الأخرى في شرق أفريقيا، في المدارس القرآنية، والحلقات الدراسية في المدارس، والمساجد، وفى بيوت العلماء، لم تكن هذه المؤسسات التعليمية حصرًا على فئة معينة أو مذهب معين إنما كانت مفتوحة لجميع الطلاب على اختلاف مذاهبهم، وكانت الدراسة تشمل الجنسين (الذكور والإناث)، ففي زنجبار على سبيل المثال كان يوجد عدد من المعلمات يعلمن النساء القرآن الكريم ومبادئ الدين في منازلهن. كان عدد لافت من المعلمات من جزر القمر، مثل المعلمة فاطمة فيفوم، والمعلمة موانا عيد. لمزيد من المعلومات انظر، ناصر بن عبد الله الريامى: مرجع سبق ذكره، ص ٧٧. سليمان بن سعيد بن حبيب الكيومي: مرجع سبق ذكره، ص ١١٩، ١٢٠. حامد كرهيلا: العلاقات التاريخية بين الدولة البوسعيدية وجزر القمر (١٢١٩هـ – ١٣٨٣هـ / ١٨٠٦– ١٩٦٤م)، بيبلوس كونسالتينغ للطباعة والنشر والتوزيع، موسكو، ٢٠٠٧، ص ٧٣.

(١٧) سليمان بن سعيد بن حبيب الكيومى: مرجع سبق ذكره، ص ٨٠.

(١٨) Pouwels. Randall L., Op. Cit, p.154.

(١٩) كان الشيخ عبد الله باكثير معروفًا بدعم وترسيخ التسامح الدينى وراء كل الحدود الطائفية، وكان يقدم دروسًا يومية خلال شهر رمضان فى مسجد "جوفو" فى زنجبار، لتثقيف المسلمين دينيًا، فيما يخص العقيدة، والحياة بوجه عام. Kresse, Kai, Swahili Enlightenment, East African Reformist discourse at the Turning Point: The example of Sheikh Muhammad Kasim Mazrui. Journal of Religion in Africa, 33, (Aug., 2003), p. 284.

(٢٠) هو أحمد بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن زين السميط، وهو من أصل حضرمي، كان والده العلامة أبو بكر بن عبد الله أول من هاجر إلى جزر القمر من بلدة (شبام) بحضرموت. كان الشيخ أحمد السميط من أكبر دعاة الوحدة الإسلامية. تولى القضاء في زنجبار في عهد السلطان برغش بن سعيد (1888 –1870م). قام بزيارة إسطنبول عام ١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٧م واستقبله السلطان العثماني، ومكث بها

لمدة عام، وعند عودته إلى زنجبار عام ١٨٨٨، تولى مهمة القضاء، وتدريس العلوم الشرعية في مسجد مالندي بزنجبار، وبدأ فى نشر أفكاره بين تلاميذه، ومنهم الشيخ الأمين، الذي تأثر بفكرة عالمية الإسلام، ووحدة العالم الإسلامي. عبد الله بن محمد بن سالم: رحلة الأشواق القوية إلى موطن السادة العلوية، مكتبة الإسكندرية، مصر، ١٤٠٥ هـ، ص ١٥٧.

Martin, B.G., Notes on Some Members of the Learned Classes of Zanzibar and East Africa in the Nineteenth Century, African Historical Studies, 1971, Vol. 4, No. 3 (1971), p. 542.

(٢١) ناصر بن عبد الله الريامى: مرجع سبق ذكره، ص ٤١٦.

(٢٢) Martin, B.G., Op. Cit, p. 527.

ربطت علاقة خاصة بين محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار بالسلطان "حمود بن محمد"، وكان يرسل للسلطان رسائل يطلب فيها مساعدات مالية من أجل تسيير أمور المجلة، التي كانت تعاني من نقص الموارد المالية. وثيقة رقم (١٤) A.2.2.6.38، هيئة الوثائق، وزارة التراث والثقافة، مسقط.

(٢٣) Elmasri, F.H, Sheikh al- Amin bin Ali al- Mazrui and Islamic Intellecual Tradition in East Africa, Journal of Muslim Minority Affairs, Vol.8, No.2, (July 1987) p.230.

(٢٤) Pouwels. Randall L., Op. Cit, p.332.

(٢٥) Pouwels. Randall L., Op. Cit, p.332.

(٢٦) Tim, Carmichael, British Practice towards Islam in the East Africa Protectorate: Muslim Officials, Waqf Administration, and Secular Education in Mombasa and Environs, 1895–1920," Journal of Muslim Minority Affairs 17, no. 2, 1997, p.296.

(٢٧) Mungeam G.H , British Rule in Kenya, 1895-1912: The Establishment of Administration in the East Africa Protectorate, Oxford, 1966, p.8.

(٢٨) كانت سلطنة زنجبار في مقدمة أولويات خطط الاستعمار البريطاني في المنطقة لعدة أسباب، منها: موقع السلطنة الاستراتيجي، القضاء على المنافسة التجارية العربية للتجارة البريطانية في المحيط الهندي، قطع الطريق أمام القوى الاستعمارية الأخرى في هذه المنطقة، ومنع وصولهم للهند، إضافة لوقف التقدم الإسلامي في منطقة ساحل أفريقيا، المتجه نحو عمق الداخل الأفريقي وحتى البحيرات العظمى، لذلك فتحت بريطانيا الباب على مصرعيه أمام النشاط التنصيرى في زنجبار ومومباسا من الساحل للداخل. Amir A. Mohamed, A guide to History of Zanzibar, Express Printing Service, Zanzibar, 2006, p.32.

(٢٩) مجلة العروة الوثقى : مجلة سياسية أدبية أسبوعية، تابعة لجمعية العروة الوثقى، كان مدير سياستها جمال الدين الأفغاني، ومحررها الشيخ محمد عبده، كان هدف الجمعية العمل على إنهاض الدول الإسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شئونها، وقد لخص الإمام محمد عبده أهم أهداف المجلة في خطاب أرسله

إلى صديقه الشاعر الإنجليزي"ولفرد بينت"؛ وهى: صون استقلال الشعوب الشرقية من عدوان الدول الغربية، وإقلاق بال الحكومة الإنجليزية؛ حتى ترجع عن أعمالها المثيرة لخواطر المسلمين. لذلك حظرتها السلطات البريطانية. وتعد العروة الوثقى من أهم وأولى المنشورات الإصلاحية المتعلقة بحركة النهضة، والموجهة للأمة الإسلامية، وكان دعوتها ضرورة التوحد لمقاومة الاستعمار. لمزيد من المعلومات، انظر، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده: العروة الوثقى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤، ص ١٩. حرص القائمون على مجلة العروة الوثقى على التواصل مع السلطان (علي بن حمود)، وأرسل مدير أشغال المجلة رسالة للسلطان مؤرخة في ٢٦ شعبان ١٣٢٢ هـ ، يطلب صورة للسلطان كى تنشر في الجريدة، مصحوبة ببعض إنجازاته، وآراءه التي تعبر عن دعم الحركة. الأرشيف الوطني بزنجبار، وثيقة منشورة، وثيقة رقم ZA– AA5/11/51، رسالة من مدير أشغال مجلة العروة الوثقى بالقاهرة إلى السلطان علي بن حمود، ٢٦ شعبان ١٣٢٠ هـ.

(٣٠) أحمد بن خلفان بن على الشبلي: الأوضاع السياسية في زنجبار في عهد السلطان خليفة بن حارب البوسعيدي (1960 –1911)، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢٠٠٩، ص ٧٨.

(٣١) CAB 37/ 107/ 130. Sir Edward Grey to the Sultan of Zanzibar, October, 12, 1911.

(٣٢) جمال زكريا قاسم: دولة البوسعيد في عمان وشرق أفريقيا 1861 –1741، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٣٥٦.

(٣٣) كانت بريطانيا تخطط لدمج سلطنة زنجبار والشريط الساحلي بالبر الأفريقي، مستعمرة شرق أفريقيا البريطانية، ولم يكن نقل القضايا المهمة التي تقع في زنجبار إلى نيروبي إلا تمهيدًا لتنفيذ تلك المخططات، كان هدف بريطانيا من ذلك إبقاء الساحل ضعيفًا ومنقسماً داخليًا، لتسهل السيطرة عليه. حمد بن خلفان بن على الشبلي: مرجع سبق ذكره، ص ٩٨.

(٣٤) هولنجزوورث ل. و: زنجبار، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٣٤.

(٣٥) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: زنجبار، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د.ت، ص ٢٢٣.

(٣٦) Ndzovu, Hassan J. Historical Evolution of Muslim Politics in Kenya from the 1840s to 1963, in Muslims in Kenyan Politics, Northwestern University Press, p.23.

(٣٧) CO 618/ 55/19, Report on the Native Administratian 1933.

(٣٨) Mathews, Nathaniel, Imagining Arab Communities: Colonialism, Islamic Reform, and Arab Identity in Mombasa Kenya, 1897- 1933, Islamic Africa, Vol.4, No.2 (Fall 2013) , p. 145.

(٣٩) Pouwels. Randall L., Op. Cit, p.330.

(٤٠) Sartori, Paolo & Ido Shahar, Legal Pluralism in Muslim-Majority Colonies: Mapping the Terrain, Journal of the Economic and Social History of the Orient 55, 2012, p.637.

(٤١) Stockreiter, Elke E. The Ignorant Do Not Belong to Any Particular Sect: Legal Practice and Social Identities in Colonial Zanzibar, slamic Law and Society, Vol. 23, No. 4 (2016), p. 415.

(٤٢) تطورت الثقافة السواحيلية في المدن الواقعة على الساحل الشرقي لأفريقيا منذ فترة طويلة، لدرجة أن أشار البعض أن الثقافة السواحيلية تسبق تاريخ أسلمة الساحل، ولكن منذ أواخر القرن التاسع عشر – تزامنًا مع مجئ الاستعمار الأوروبى– أصبح ينظر إلى الثقافة السواحيلية على أنها هوية عرقية، تخص مجموعة بعينها من البشر. Valerie J. Hoffman, East Africa, in Andrew Rippin, The Islamic World, Routledge, London SW1P 1WG, UK, 2013, p.39.

(٤٣) Glassman, Jonathon, War Words, War of Stones: Racial Thought and Violence in Colonial Zanzibar, Indian University Press, Blomington, 2001, p.300.

(٤٤) كان ذوي الأصول العربية يولودون بصفتهم سواحيليون يعتزون بأصولهم العربية، ولكنهم مندمجون فى ثقافتهم السواحيلية، من ناحية الهوية الإثنية فنصفهم عربى ونصفهم الآخر أفريقى، لغتهم السواحيلية، ودينهم الإسلام، وثقافتهم ساحلية، يربطهم جميعًا رباط الدين. عبد الله على إبراهيم: ثورة زنجبار ١٩٦٤، هل العرب مواطنون فى أفريقيا أم مستوطنون؟ الطبعة الأولى، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، الخرطوم، ٢٠١٦، ص٢٨، ٤٣.

(٤٥) James de Vere Allen, Op. Cit, p.5.

(٤٦) Janmohamed, Karim, A History of Mombasa 1895–1939: Some Aspects of Economic and Social Life in an East African Port Town During Colonial Rule" (Ph.D. diss., Northwestern University, (1978), p. 251–57.

(٤٧) غذت الظروف الاقتصادية الجديدة الزيادة السكانية، التى تمثلت فى زيادة أعداد المهاجرين، ففى عام ١٩٢١ تم بناء ميناء جديد على الجانب الشرقى لومباسا، فى جزيرة كليندى Kilindi، مع رصيفين فى المياه العميقة، استمر العمل بهما لمدة خمس سنوات. Caruso, Joseph Samuel. Politics in Colonial Kenya, 1929–1963 : A History of Kilifi District, Ph., Columbia University, 1993, p. 140.

(٤٨) Cooper, Fred, On the African Waterfront: Urban Disorder and the Transformation of Work in Colonial Mombasa, New Haven, Conn.: Yale University Press, 1987, p. 28.

(٤٩) Ndzovu, Hassan J., Op. Cit, p.23.

(٥٠) Pouwels, Randall L., Op. Cit, p.337.

(٥١) الديجو فرع من شعب الميجيكندا Mijikenda، ممن كانوا يعيشون بالقرب من مومباسا وتربطهم صلات وثيقة بالعرب، وخاصة المزارعة منذ زمن بعيد. يعد المجيكندا من أكبر المجموعات التى اعتنقت الإسلام من البانتو. Spear, Thomas, The Kaya Complex: A History of the Mijikenda Peoples of the Kenya Coast to 1900, Nairobi: Kenya Literature Bureau, 1978, p.37. Mathews, Nathaniel, Op. Cit, p.148.

(٥٢) Mathews, Nathaniel, Op. Cit, p.153.

(٥٣) Ibid, p.149.

(٥٤) Kilifi District Political Record Book, Vol. I. PRB 110/Kfi /11, reel 72.

(٥٥) A2423/AR in 22/177, reel 59. Annual Report, Takaungu Sub- District 1915–1916.

(٥٦) Mathews, Nathaniel,Op. Cit, p.150.

(٥٧) فى عام ١٩١٥ شجع البريطانيون قبائل أفريقية أخرى مثل الوانغامبى Wangambi على تبنى موقف أكثر استقلالية والحكم وفق القانون القبلي. Annual Report, Mombasa District, 1915–1916, 2426/AR/1915– 16, reel 60.

(٥٨) C.A. 27/1927 in Kenya Supreme Court, Law reports of Kenya Containing Cases determined by the Supreme Court of the Colony and Protectorate of Kenya (Nairobi: Kenya Colony and Protectorate, 1953), vol. 14, 30–32.

(٥٩) Mathews, Nathaniel, Op. Cit, p.152.

(٦٠) Valerie J. Hoffman, Op. Cit, p.39.

(٦١) Mathews, Nathaniel, Op. Cit, p. 143,152.

(٦٢) Quraishy M.A, Textbook of Islam, Book 2, Nairobi, 1989, p.192, 194.

(٦٣) Kresse, Kai, Muslim Politics in Postcolonial Kenya: Negotiating Knowledge on the Double-Periphery, The Journal of the Royal Anthropological Institute , Vol. 15, 2009, p. 581.

(٦٤) Ibid, p. 582.

(٦٥) Kresse, Kai,(2009), Op. Cit, p. 582.

(٦٦) Bowen, J. Muslim through discourse: Religion and Ritual in Gayo Society, Princeton, university press, 1993, p. 95.

(٦٧) Kresse, Kai,(2003) Op. Cit, p. 288.

(٦٨) Ndzovu, Hassan J., Op. Cit, p.23.

(٦٩) Mathews, Nathaniel, Op. Cit, p. 136.

(٧٠) Soghayroun, Ibrahim E., The Arab and Swahili Culture in Historical Perspective: Some Important Links in “The History of the Mazru’is in East Africa” by Shaykh Al- Amin B. Ali, Sudanic Africa, Vol.12, 2001, p.16.

(٧١) Lodi, A. Y., & Westerlund, D., Tanzania. In I. D. Westerlund & I. Svanberg (Eds.), Islam outside the Arab world. Richmond: Curzon, 1999, p.99. Sperling, D. C., The coastal hinderland and the interior of East Africa. In I. N. Levtzion &

R. L. Pouwels (Eds.), The history of Islam in Africa, Athens: Ohio University Press.2000, p.293.

(٧٢) حرص البريطانيون على إنشاء معظم مدارس الإرساليات في مناطق لا يسيطر عليها المسلمين، كما حرصوا على منح الأفارقة من غير المسلمين دور مركزى فى الإدارة الاستعمارية، حيث عملوا كضباط شرطة محليين، وحلت نيروبى محل مومباسا كعاصمة إدارية للمحمية، وبالتالى تركزت التنمية بعيدًا عن مومباسا والساحل حيث النفوذ العربى. Oded, A., Islam and politics in Kenya. Boulder: L. Rienner Publishers. 2000, p.95. Pouwels. Randall L.Op, Cit, p.337.

(٧٣) ارتبطت العملية التربوية لمدارس الإرساليات بأهداف تنصيرية واستعمارية، حيث عملت بقصد على إضعاف دور العقيدة واللغة العربية في المجالات السياسية والإدارية، وإقصاء المسلمين عن لعب أى دور مركزى فى الحياة السياسية والثقافية فى شرق أفريقيا. تاج السر أحمد حران: الأقلية المسلمة فى كينيا، وحدة بحوث التاريخ، جامعة الملك سعود، الرياض، د.ت، ص ٤٥.

(٧٤) كان مسجد الرياض فى لامو، مركزًا مهمًا من مراكز العلم والدعوة، أسسه الشيخ حبيب بن صالح العلوى عام ١٨٨٩، وقد توسع ليصبح من أكبر المؤسسات التعليمية تأثيرً فى شرق أفريقيا. كان يتم تدريس اللغة العربية والرياضيات، بجانب العلوم الشرعية والفقه الشافعى. لم يكن التعليم فى هذه المؤسسة نخبويًا، حيث كان أعداد طلبة العلم من الجمهور المسلم المحلي كبيرة، وهو أهم ما ميز مدرسة مسجد الرياض. Nimtz, A.H., Islam and politics in East Africa: The Sufi order in Tanzania. Minneapolis: University of Minnesota Press. 1890, p.62. Bakari, M. The New Ulama in Kenya. In I. M. Bakari & S. S. Yahya (Eds.), Islam in Kenya: Proceedings of the national seminar on Contemporary Islam in Kenya, Nairobi: MEWA Publications. 1995, p.171.

(٧٥) Ameir Issa, Qādirī scholars in Zanzibar. In I. R. Loimeier & R. Seesemann (Eds.), The global worlds of the Swahili: Interfaces of Islam, Identity and Space in 19th and 20th-century. Berlin: Lit., 2006, p.343.

(٧٦) Chande, A. Islam, Ulamaa and Community Development in Tanzania: A Case Study of Religious Currents in East Africa. San Francisco: Austin & Winfield, 1998, p. 164.

(٧٧) Nimtz, A. H., Op. Cit, P.35.

(٧٨) Spear, Thomas, The Kaya Complex: A History of the Mijikenda Peoples of the Kenya Coast to 1900, Nairobi: Kenya Literature Bureau, 1978, p.37.

(٧٩) Mathews, Nathaniel,Op. Cit, p.143.

(٨٠) Pouwels. Randall L, Op. Cit, p.339.

(٨١) Ibid.

(٨٢) Soghayroun, Ibrahim E., Op. Cit, p.16.

(٨٣) كان الشيخ الأمين مقتنعًا بعالمية الإسلام، وأنه لولا الكنيسة الغربية والأوضاع المتردية للعالم الإسلامى، لدخل الكثير من الأوروبيين والأفارقة فى الإسلام، لأنه دين يخاطب العقل والفطرة السليمة..Pouwels Randall L., Op. Cit, p.341.

(٨٤) Mathews, Nathaniel,Op. Cit, p. 136.

(٨٥) Svensson, Jonas, Islamic Education in East Africa, Springer International Publishing AG, 2017, p.6.

(٨٦) غدت اللغة السواحيلية لغة جميع سكان الساحل الشرقى لأفريقيا. يمتلئ الأدب السواحيلي شعره ونثره بالإشارات إلى الفقه الإسلامي، وتشكل معرفة الشريعة الإسلامية مطلبًا أساسيًا لفهم الأدب السواحيلي، وخصوصا فيما يتعلق بتشريعات الزواج والتشريعات التى تتعلق بالأسرة. زياد بن طالب المعولى: العمانيون ونشر الإسلام والثقافة العربية فى شرق أفريقيا، دورية الحياة، العدد ١١، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م، ص ١٧٤.

(٨٧) عن هذا التمازج بين الثقافات يقول مزروعى أن أفريقيا كانت بمثابة بوتقة انصهرت فيها الثقافات والأديان، وفى هذا السياق استقبلت أفريقيا المؤثرات العربية ومزجتها بثقافاتها. Ali A. Mazrui, The African Condition: A Political Diagnosis, Cambridge University Press, 1995, pp.2, 70. Topan, Farouk M., Swahili as a Religious Language, Journal of Religion in Africa, Nov., 1992, Vol. 22, Fasc. 4 (Nov., 1992), p. 335.

(٨٨) سيد حامد حريز: الثقافة السواحيلية: أصولها، ومقوماتها، وتطورها، فى يوسف فضل حسن" محرر"، العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأفريقية، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٥ ص ٣٣.

(٨٩) Kresse, Kai (2003), Op. Cit, p. 287.

(٩٠) يعد إنشاء المطبعة السلطانية التى أنشئها السلطان برغش عام ١٨٨٠م من العوامل التى ساعدت على النهضة العلمية والثقافية فى شرق أفريقيا، ومهدت لظهور الصحافة. كانت المطبعة تطبع الأوامر الرسمية عن أروقة الحكم فى زنجبار، بالإضافة إلى طباعة الكتب الدينية والأدبية، وأصبحت بعد ذلك تطبع الصحف باللغات العربية والإنجليزية والسواحيلية. سلطان بن مبارك الشيبانى: تاريخ الطباعة والمطبوعات العمانية عبر قرن من الزمن، الطبعة الأولى، مركز ذاكرة عمان، مسقط، ٢٠١٥، ص ١٧٠.

(٩١) Kresse, Kai (2003), Op. Cit, p. 287.

(٩٢) Pouwels. Randall L, Op. Cit, p.332.

(٩٣) Mathews, Nathaniel, Op. Cit, p.142.

(٩٤) Kresse, Kai (2003), Op. Cit, p. 287.

(٩٥) Mraja, Mohamed, The Reform Ideas of Shaykh AbdallāhS al-Farsi and the Transformation of Marital Practices among Digo Muslims of Kenya, Islamic Law and Society, 2010, Vol. 17, No. 2 (2010), p.269.

(٩٦) Ibid, p. 270.

(٩٧) Mazrui, M.K, Dibaji (Preface). In Tafsiriya Qurani Tukufu. Al-Faatihah -AlBaqarah (Translation of the Holy Qur'an), al-Amin Mazrui, ix-xii. Nairobi: Shungwaya Publishers, 1980.

(٩٨) Quraishy M. A., Op. Cit, 194.

(٩٩) Kresse, Kai (3003), Op. Cit, p. 287.

(١٠٠) Faki, E., Kasiera, E. M., & Nandi, O. M. J., The belief and practice of divination among the Swahili Muslims in Mombasa district, Kenya. International Journal of Sociology and Anthropology, 2010, P.213.

(١٠١) Kresse, Kai (2003), Op. Cit, p. 287.

(١٠٢) Mazrui, Ali.A., The Africans: A Triple Heritage, Program 1: The Nature of a Continent, BBC, 1986 https://www.youtube.com/watch?v=8-pksToXSL4.

(١٠٣) Pouwels. Randall L, Op. Cit, p.332.

(١٠٤) Loimeier, Roman, Between Social Skills and Marketable Skills: The Politics of Islamic Education in 20th Century Zanzibar (Leiden: Brill, 2009),p. 110.